

روح المعاني

العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا لعلمهم بحقيقتهم وقوفهم على ما أودع فيه من الأسرار ويخرون للأذقان يبكون لعظمته أو شوقا لمنزله وحبا للقاءه قال أبو يعقوب السوسي : البكاء على أنواع بكاء من α تعالى وهو أن يبكي خوفا مما جرى به القلم في الفاتحة ويظهر في الخاتمة وبكاء على α D وهو أن يبكي تحسرا على ما يفوته من الحق تعالى وبكاء β تبارك وتعالى وهو أن يبكي عند ذكره سبحانه وذكر وعده ووعيده وبكاء β تعالى وهو أن يبكي يلاحظ منه في بكائه وقال القاسم : البكاء على وجوه بكاء الجهال على ما جهلوا وبكاء العلماء على ما قصروا وبكاء الصالحين مخافة الفوت وبكاء الأئمة مخافة السوق وبكاء الفرسان من أرباب القلوب للهيبة والخشية ولا بكاء للموحدين وفي الآية إشارة ما إلى السماع ولا أشرف من سماع القرآن فهو الروح والريحان قل ادعوا α أو ادعوا الرحمن قيل دعاء α بالفناء في الذات ودعاء الرحمن بالفناء في الصفة وصفة الرحمانية هي أم الصفات وبها استوى سبحانه على عرشه ومن ذلك يعلم أنه ليس المراد من الإيجاد إلا رحمة الموجودين أي ما تدعو أي أيما ما طلبت من هذين المقامين فله تعالى في هذين المقامين الأسماء الحسنى لا لك إذ لست هناك بموجود إما في الفناء في الذات فظاهر وأما في الفناء في الصفة المذكورة فلأن الرحمن لا يصلح اسما لغير تلك الذات ولا يمكن ثبوت تلك الصفة لغيرها ولا يخفى عليك أن ضمير له على هذا التأويل عائد على ما عاد إليه على التفسير وفي الفتوحات المكية أنه تعالى جعل الأسماء الحسنى β كما هي للرحمن غير أن الاسم له معنى وصورة فيدعى α بمعنى الاسم ويدعى الرحمن بصورته لأن الرحمن هو المنعوت بالنفس وبالنفس ظهرت الكلمات الإلهية في مراتب الخلاء الذي ظهر فيه العالم فلا ندعوه إلا بصورة الاسم وله صورتان صورة عندنا من أنفاسنا وتركيب حروفنا وهي التي ندعوه بها وهي أسماء الأسماء الإلهية وهي كالخلع عليها ونحن بصورة هذه الأسماء مترجمون عن الأسماء الإلهية ولها صور من نفس الرحمن من كونه قائلا ومنعوتا بالكلام وخلف تلك الصور المعاني التي هي كالأرواح للأسماء الإلهية التي يذكر الحق بها نفسه وهي من نفس الرحمن فله الأسماء الحسنى وأرواح تلك الصور هي التي لاسم α خارجة عن حكم النفس لا تنعت بالكيفية وهي لصور الأسماء النفسية الرحمانية كالمعاني للحروف ولما علمنا هذا وأمرنا بأن ندعوه سبحانه وخيرنا بين الإسمين الجليلين فإن شئنا دعوانه بصور الأسماء النفسية الرحمانية وهي الهمم الكونية التي في أرواحنا وإن شئنا دعوانه بالأسماء التي من أنفاسنا بحكم الترجمة فإذا تلفطنا بها أحضرنا في نفوسنا أما α فننظر المعنى وأما الرحمن فننظر صورة الاسم الإلهي النفسي الرحماني

كيفما شئنا فعلنا فإن دلالة الصورتين منا ومن الرحمن على المعنى واحد سواء علمنا ذلك أو لم نعلمه ا ه وهو كلام يعسر فهمه إلا على من شاء ا ه تعالى بيد أنه ليس فيه حمل الدعاء على ما سمعت وقل الحمد ه الذي لم يتخذ ولدا فضلا عن أن يكون له سبحانه ولد بطريق التولد ولم يكن له شريك في الملك فلا مدخل لغيره تعالى في ملكية شيء على الحقيقة وما يوجد بسبب ليس السبب إلا آلة له ولا تملك الآلة شيئا بل لا شيء إلا وهو صنعه تعالى على الحقيقة والسرير مثلا وإن أضيف إلى النجار من حيث الصنعة إلا أنه في الحقيقة آلة كالقدوم ولا يضاف العمل إلى الآلة على الحقيقة كذا قيل وللشيخ قدس سره كلام في هذا المقام يفصح عن بعض هذا ذكره في الباب الثامن والتسعين بعد المائة فارجع إليه وتدبر وكذا له كلام في قوله سبحانه ولم يكن له ولي من الذل لكن يغني عنه ما قدمناه وكبره تكبيرا قال بعضهم تكبيره تعالى أن تعلم أنك لا تطيق أن تكبره إلا به وقال ابن عطاء تكبيره D بتعظيم منته وإحسانه في القلب بالعلم بالتقصير في الشكر وكيف يوفى